[98] إبراهيم قالوا : ( وانّا لفي شكّ ممّا تدعوننا إليه ) فيقال لهم : لا نسلّم انّ قوم فرعون كانوا منكرين لوجود الإله ، والدليل على قولنا ، قوله تعالى : ( وجحدوا بها استيقنتها أنفسهم ظلماً ) وقال موسى لفرعون : ( لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلاّ ربّ السموات والأرض بصائر ) فالقراءة بفتح التاء في علمت تدلّ على انّ فرعون كان عارفاً باﷲ ، وأمّا قوم إبراهيم حيث قالوا : ( وإنّا لفي شكّ ممّا تدعوننا إليه ) فهو مصروف إلى إثبات القيامة وإثبات التكاليف وإثبات النبوّة )(1). وفي التعبير بـ ( لقد علمت .... ) إشارة واضحة إلى هذا المعنى . والطريف أنّ آيتين من هذه الآيات تذكران في النهاية بعد أخذ الإقرار من الكفّار والمشركين بأنّ اﷲ هو الخالق للإنسان والأرض والسماوات ( فأنّى تؤفَكون )(2). وبناء الجملة للمجهول إشارةٌ إلى أنّ ذواتهم تسير في طريق الفطرة ، غير أنّ أسباباً خارجية وهي ( شياطين الجنّ والإنس ) ، وأسباباً داخلية وهي ( أهواء النفس والعصبية الجاهلية ) تحرّفهم عن الحقّ رغم تجذّره في أعماق فطرتهم . في حين جاء التعبير في موضع آخر بـ ( فأنّى تُسحَرُون ) بصيغة المبني للمجهول ، وهي عبارة تطلق على من يتّبع أمراً دون إرادة . ويوجد إحتمال آخر في تفسير هذه الآيات وهو أنّهم كانوا يقولون بأنّ رسول الإسلام ( (صلى اﷲ عليه وآله وسلم) ) يريد أنْ يحرفنا عن طريق الحقّ أو أنّه ساحر قد سحرنا. فردّ عليهم القرآن : مع أنّكم تُقرّون بأنّ اﷲ هو خالق السماء والأرض والشمس والقمر والبشر ، وهو المدبّر لهذا الكون فكيف يحرفكم أو يسحركم من يدعوكم إلى عبادته ونبذ عبادة غيره ؟ أي عقل يحكم بهذا ؟! إنّ الكثير من المفسّرين ومنهم ( الطبرسي في مجمع البيان والعلاّمة

---

1 ـ التفسير الكبير : ج8 ، ص399 وج27 ، ص233 . 2 ـ تؤفكون مشتق من ( الإفك ) ويعني الإرجاع والحرف ولذا يطلق ( الإفك ) على الكذب أيضاً كما تطلق ( المؤتفكات ) على الرياح المعارضة .